الأهرام

المصدر: الشرق الاوسط

التاريخ: ١٧ جمادى الاول ١٤١١ هـ

تاريخ الاسلام المكافح في يوغوسلافيا ٥

تفاصيل معاناة المسلمين في العهد الملكي

● بلغ عدد المسلمين حين تشكلت مملكة يوغوسلافيا في ١٩١٨ حوالي ١,٣٣٨,٠٠٠ نسمة. تشكلت احزاب اسلامية في البوسنة، لكن الوضع العام لم يتحسن كثيرا. ● استبعد المسلمون من الوظائف الادارية المهمة في جهاز الدولة ومنع الضباط المسلمون من دخول هيئة الاركان الحربية الا بعد اعتناق المسيحية. ● باسم سياسة الاصلاح الزراعي فقد المسلمون اوقافهم واكثر املاكهم. استمرت سياسة هدم المساجد وحقلت برامج التعليم بشتى الاهانات لعقائد الاسلام ومقدساته.

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

سراييفو: «الشرق الاوسط»
من محمد الهاشمي الحامدي

كان العدد الجملي لمسلمي يوغوسلافيا غداة تشكيل المملكة الفيدرالية اثر الحرب الكبرى حوالي ١.٣٣٨.٠٠٠ نسمة ٥٨٨.٠٠٠ منهم في البوسنة ٣٣.٠٠٠ في الجبل الاسود، ٤.٠٠٠ في كرواتيا و ٧٣٣.٠٠٠ في صربيا وجنوب صربيا ٤٤٢.٠٠٠ منهم البان و ١٤٨.٠٠٠ اتراك.

لم يعترف للمسلمين بجمهورية مستقلة ضمن المملكة الجديدة ولا بهوية قومية مستقلة، وكان عليهم ان يعرفوا انفسهم باعتبارهم صربيين او كرواتيين، ورغم ان اوضاع المسلمين في البوسنة تحسنت قليلا، فإن التقويم الجملي لتطور اوضاعهم في سائر انحاء المملكة سلبي في الغالب وحافل بالكثير من المظالم والاحزان.

تحسن طفيف في البوسنة

اقر الدستور اليوغوسلافي الاول حماية الاقليات الدينية والعرقية والثقافية للبلاد، وفي عام ١٩٣٠ انشئت مشيخة اسلامية عليا في بلجراد تشرف على الحياة الدينية لسائر المسلمين. وانتظمت بعثات المسلمين للحج في تلك الفترة، وافتتحت مدرسة ثانوية للعلوم الاسلامية وكلية شرعية في سراييفو (١٩١٨ و١٩٣٧) وكان يوجد قرابة عشرين مدرسة ابتدائية في انحاء المقاطعة.

وعلى الصعيد السياسي بادر بعض اعيان المسلمين بتشكيل احزاب اسلامية سياسية، كان ابرزها منظمة اليوغوسلاف المسلمين بالاضافة الى احد عشر حزبا سياسيا اقل شانا، لكن اكثر هذه الاحزاب كانت معدومة الصلة تقريبا بالمسلمين الآخرين في بقية انحاء المملكة.

وكانت القضية الرئيسية لمسلمي البوسنة واخوانهم في البلاد هي مصادرة جزء كبير من اوقافهم التي كانت مصدر تمويل المساجد والتعليم الاسلامي، وقد قررت الحكومة الجديدة تأميمها في اطار ما سمي بمشروع الاصلاح الزراعي.

اما على الصعيد الخارجي، فقد شارك وفد اسلامي من يوغوسلافيا في المؤتمر الاسلامي الذي انعقد في القدس الشريف عام ١٩٣١ وفي مؤتمر مسلمي اوروبا عام ١٩٣٥.

هذا كله في البوسنة، اما في بقية البلاد فإن اوضاع المسلمين لم تتحسن، وبقيت ظاهرة الهجرة الى تركيا او ألبانيا على حالها.

المسلمون في كوسوفو

وفي كوسوفو اوضح الصربيون موقفهم بشكل قاطع وقالوا: ليس للاسلام والمسلمين مقام هنا. من يريد ان يبقى فعليه ان يغير دينه ويعتنق المسيحية.، ومن لا يفعل فمصيره القتل والفناء.

في منطقة جاكوفا، ما زال المسلمون يتذكرون هذه الوقائع المرة الأليمة، ويؤكدون ان بعض العائلات لم تجد مفرا من الارتداد عن الاسلام لتضمن الحد الادنى من السلامة.

يروي عالم يوغوسلافي مشهور «برانكو هورفات» وهو كرواتي من زغرب في كتابه «مسألة كوسوفو» ان ملك يوغوسلافيا في الفترة ما بين الحربين «كرال بيتر» مر في طريقه من كوسوفو الى مقدونيا، بحشد من المسلمين تحت رقابة الجنود الصربيين، فسأل مساعديه: من هؤلاء؟ قالوا: هم مسلمون. قال: ان هؤلاء لا فائدة للمملكة منهم ويجب ان يبادوا جميعا، ولكن من دون ان نخسر عليهم تكلفة الذخيرة والرصاص، اقتلوهم بالخشب على حافة الطرقات، ونفذت اوامره على الفور.

كانت الاعدامات الجماعية سلوكا عاديا في تلك الفترة، وما زال المسلمون الالبان المتقدمون في السن يذكرون مواقع بعض هذه الجرائم التي لم يكن عدد الضحايا فيها يقل عن ٣٠٠٠ الى ٨٠٠٠ مسلم في المذبحة الواحدة، ومن هذه المواقع كومانوفو، بريشتينا، بريزران، فريزاي.

كان الجيش الصربي يمر ببعض القرى المسلمة فيحرقها بكل ما فيها: الناس والحيوانات والمنازل، وفي مناسبات اخرى يصفون كل الذكور ويعدمونهم جميعا دون استثناء، وعلى صعيد آخر، هدم الاصراب

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

اكثر مساجد المسلمين ومحوا اي اثر لها على الارض، وانتهكوا مقابر المسلمين وحولوا بعضها الى ملاعب لكرة القدم.

ونقول هدموا اكثرها ونحن نعني مناطق المسلمين، اما في صربيا ذاتها فقد دهم الاصراب كل مساجد بلجراد وكان عددها زهاء ٣٠٠ مسجد، ولا يوجد منها الآن الا مسجد واحد أعاد الشيوعيون فتحه، ومع ذلك فإن محاولات حرقة وهدمه مستمرة حتى اليوم بدون انقطاع.

شهادة الشيوعيين

وللتعرف على صورة اكثر دقة لوضع المسلمين في هذه المناطق، وفي يوغوسلافيا عامة خلال الفترة ما بين الحربين، سوف نستعين هنا بما ورد في كتيب دعائي اصدرته الحكومة اليوغوسلافية في عهد الرئيس تيتو، دفاعا عن رصيدها في حماية الاقليات الدينية ومن بينها المسلمون. وتضمن الكتيب في هذا الاطار نصا وقعه حميد كوكيك مدير الاوقاف في سراييفو في الخمسينات وتعرض فيه لمعاملة المسلمين قبل انتصار الشيوعيين. وهذه اهم إفاداته:

«ان مملكة يوغوسلافيا التي توحدت ضمنها الشعوب اليوغوسلافية بعد الحرب العالمية الاولى، كانت مبنية على السيطرة واستثمار بعض الشعوب هذه من قبل الطبقات الحاكمة. وقد كانت حالة المسلمين عصيبة جدا في تلك الايام وخاصة فيما يتعلق بالمسلمين التابعين للاقليات التركية والالبانية. فلن نذكر في عرضنا هذا الا امثلة قليلة لاثبات قولنا».

ابعاد المسلمين من الدوائر الرسمية

«اذا وضعنا موضع الاعتبار ان ١٢ في المائة من سكان يوغوسلافيا هم مسلمون وجب حينئذ ان يشغل عدد نسبي من المسلمين مناصب في الدوائر الرسمية ابتداء من هيئات الدولة العليا حتى الهيئات الادنى. فبعكس ذلك تبين الاحصاءات المنشورة سنة ١٩٤١ ان المسلمين كانوا يشغلون حينذاك في دوائر الدولة والدوائر المحلية عشر المناصب التي تحق لهم نسبة لعددهم. كما اثبتت تلك الاحصاءات ان المسلمين لم يكن لهم ممثلون في الدوائر الوسطى والادنى، وقد كان القسم الاكبر من الذين يعملون في دوائر الدولة مؤلفا من عمال يدويين يعملون تحت شروط قاسية جدا.

وتجلت سياسة التصعيبات فيما يختص بتوظيف المسلمين في كيفية معاملة المسلمين المتخرجين من المعاهد العليا فكان البعض منهم يرغم الى انتظار سنين عديدة بعد اكمال دروسهم قبل ان يرضى الحاكمون بقبولهم في دوائر الدولة، وما وصف لعلاه كان ينطبق خاصة على حالة الاساتذة والحقوقيين والمهندسين الخ.

فهكذا كانت تتجلى سياسة تهدف الى ابعاد المسلمين من دوائر الدولة بغية منهم في تامين حاجاتهم المادية.

وقد كانت معاملة المسلمين في الجيش اليوغوسلافي القديم اسوا منها في سائر الميادين. فاذا علمنا ان الجيش اليوغوسلافي كان يعد ١٢,٠٠٠ ضابط فعال اصبح واضحا انه كان يحق للمسلمين نسبة لعددهم ١٥٠٠ ضابط بينما في الواقع

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

لم يكن عدد الضباط المسلمين يتجاوز الستين. ولم يكن يوجد اي مسلم بين الثلاثمائة قائد الذين كانوا يؤلفون هيئة اركان الجيش العليا. ضف على ذلك ان الدخول الى هيئة الاركان الحربية لم يكن مصرحا للضباط المسلمين مهما كانت كفاءاتهم الا بشرط ان يعتنقوا المسيحية».

الاضطهاد الاقتصادي للمسلمين

«حتى تحرير الشعوب اليوغوسلافية وتوحيدها في مجتمع قومي واحد في اواخر الحرب العالمية الاولى في سنة ١٩١٨ كان لا يوجد الا عدد ضيل من المسلمين بين ملاكي القسم الاكبر من الاراضي الصالحة للزراعة الواقعة في المناطق الجنوبية للبلاد. فاعتمد في ذلك الحين اصلاح زراعي ادى الى توزيع قسم كبير من الاراضي الصالحة للزراعة على المزارعين الصغار. ويجوز القول ان المزارعين المسلمين لم يستفيدوا اية استفادة من هذا الاصلاح لكونهم اقلية بالنسبة الى هؤلاء المزارعين الذين كانت اراضيهم ملكا للسباهي اي الملاكين الكبار، فبقي المزارعون المسلمون لا يملكون سوى اراض متجزئة قليلة لا تكفي محصولاتها لتامين حاجاتهم الاساسية.

وبينما كان يحصل كل من المزارعين والملاكين غير المسلمين على قطع ارض تبلغ مساحتها ١٠٠٠ دنم، وذلك طبقا للاصلاح الزراعي المشار اليه اضطر الكثير من المزارعين المسلمين ان يعتاشوا هم وعيالهم من محصولات اراضيهم التافهة.

هذا مما يبين ان تلك الاصلاحات كانت تهدف الى ابعاد المسلمين الذين لا يملكون ارضا كافية لتامين حياتهم، فهذه النقطة ذات اهمية كبرى اذا علمنا ان القسم الاكبر من المسلمين كان يعتاش من الزراعة».

الاقليات الاسلامية التركية والالبانية

«يعيش المسلمون ذوو القومية التركية والالبانية في المناطق الواقعة على حدود البلاد الجنوبية الشرقية في الكوسوفو ومقدونيا حيث يؤلفون مجتمعات ذات اهمية كبرى، فكانت السياسة المعادية للمسلمين المتبعة في عهد يوغوسلافيا القديمة بصورة خاصة. فيجوز القول دون اية مبالغة انهم لم يكونوا يتمتعون بحقوق الانسان الاساسية، ولم يكن يحق لهم استعمال لغاتهم القومية اي اللغة التركية والالبانية كما لم تكن توجد اية مدرسة دينية او مدنية خاصة بهم.

ويجب الاشارة الى ان المسلمين الالبانيين الذين كانوا يقطنون المناطق الواقعة طيلة الحدود اليوغوسلافية الالبانية اكرهوا هم وعيالهم على هجر دورهم واراضيهم فنقلوا الى داخل البلاد او ابقوا في اراضيهم حيث استخدموا كعمال بينما كان مجلس الاضطهاد الملكي يستحصلون على ملكية تلك الاراضي مكافاة «لخدماتهم الوطنية».

فبصورة اجمالية لم يكن بامكان الاولاد المسلمين في تلك المناطق ان يذهبوا الى المدارس، كما ان الشباب المسلمين كانوا يحرمون من الدراسة في مدارس الدولة الثانوية، فعدا عن ذلك كان الاولاد المسلمون يرغمون في المدارس الابتدائية على تلاوة الصلوات المسيحية اسوة برفاقهم المسيحيين، وعلى حضور الاحتفالات الدينية التي كانت تقام في المدارس».

عدم المساواة في الحريات الدينية

«وبالرغم من انه كان يعترف بالاسلام كالدين الثالث في يوغوسلافيا لم تكن توجد في الواقع اية حرية دينية حقيقية في تلك البلاد وخاصة في مقدونيا والكوسوفو. فلم يكن نادرا ان يرى موظفو الدولة وهم يستهزئون بالشياء المسلمين المقدسة وان تهدم الجوامع وتحول الى بنايات تستعمل لغايات اخرى. فقد كانت الكتب المبسطة المستعملة في مدارس الدولة الابتدائية والثانوية ملاى بالاهانات بحق المسلمين ومقدساتهم وكان الاولاد المسلمون مرغمين على استعمال تلك الكتب».

تفتت الدولة من جديد

تلك انن ملامح وضعية المسلمين في العهد يوغوسلافيا الاول الذي انتهى في مطلع الحرب العالمية الثانية. وفي ١٩٤١ تفتت يوغوسرلافيا من جديد. ودخل الالمان كرواتيا والبوسنة وصربيا والجبل الاسود واقاموا حكومة تابعة لهم بينما احتلت اجزاء يوغوسلافية اخرى من قبل البانيا وبلغاريا والمجر وايطاليا والمانيا.

والى حد ١٩٤٥ عرفت يوغوسلافيا عهدا اسود مليئا بالمذابح والدماء، قتل فيه قرابة مليون يوغوسلافي منهم مائة الف مسلم كما سنرى بالتفصيل في حلقة الغد.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية